التكليف النصفي

دبلوم الإدارة الحكومية: النظم السياسية المقارنة

أكاديمية الشرق

د. نبيل عودة

18/04/2022

محمد عناد العشوة

مناهج دراسة الدولة:

إن كل تفكير عن الدولة وذاتها ومفهومها يتناول ثلاثة محاور هي:

\_الهدف.

\_التطور.

\_الوظيفة.

حيث تدرس الدولة من خلال أربعة مناهج هي:

\_القانون.

\_الفلسفة.

\_التاريخ.

\_الاجتماع.

لكل منهج طريقة مختلفة في التعامل مع المواد المتوفرة للباحثين وطريقة مختلفة في التعاطي مع مفهوم الدولة، والباحث في هدف الدولة لا يكتفي بالنظرة التطورية لها بل يتجاوز أنماط الدولة المختلفة والمتلاحقة ليصل إلى مفهوم الدولة في حد ذاتها، ليطرح سؤال: (ما هو هدف الدولة؟)

\_فالفيلسوف لا يتعامل مع معطيات التاريخ في بحثه مثلما يتعامل معها الاجتماعيين والمؤرخين بل يحدد وظائف الدولة بناء على تحليلات وتأملات بما يجب أن تكون عليه الدولة والهدف التي وجدت لأجله.

\_والاجتماعي يعتمد في بحثه على الوظائف التي تمارسها الدولة والموجودة بالفعل في المجتمع الذي يعيش فيه.

\_والمؤرخ يسجل فقط الأحداث والمعطيات التي ثبتت بالوثائق القطعية الصحيحة إن وجدت.

\_والقانوني يبحث في القوانين النافذة والسلطات وغيرها.

إذن كما نلاحظ أن لكل منهج سؤال خاص به وطريقة متفرد بها فلا يمكن للفيلسوف أن يكون تطوريا ولا لعالم الاجتماع أن يكون استنباطيا أو أن يقبل بقول الفلاسفة واستنباطاتهم النظرية ولا للمؤرخ أن يكون افتراضيا أو أن يربط بحثه بهدف الفلاسفة أو بالوظيفة التي يراها علماء الاجتماع أنها توجد حيثما وجد مجتمع إنساني بل يكون واقعيا يعتمد على المثبت من الحقائق ويتعامل معها بحيادية وكذلك ينهج نهجهم علماء القانون، إذن لكل منهج منهم طريقة مختلفة وسؤال مختلف.

ارتباط العقلانية بمفهوم البيروقراطية:

بداية دعونا نتفق على أننا عندما نتحدث على البيروقراطية فإننا نقصد بها:

\_أنها مرتبطة بنمو تأثير الطبقة التجارية في الاقتصاد والمجتمع الأوروبي.

\_أنها مجسدة في التنظيم الاجتماعي وفي السلوك الفردي.

\_أنها مفصولة عن الأخلاقيات.

لقد بدأت التطورات الاجتماعية التي أدت إلى ظهور مفهوم الاجتماع العقلاني في أوروبا في القرن الثالث عشر والرابع عشر حيث ظهر بداية في المجال العسكري حيث أدت الحاجة لمعرفة الأعداد والحسابات الخاصة في المجال العسكري إلى عقلنة العمل العسكري ومن ثم انتقل إلى المجال التجاري وظهور الطبقة التجارية وحاجتها إلى العمليات الحسابية الدقيقة وحساب التكاليف والإنتاج والمدفوعات وغيرها.

كل هذه التطورات أدت في النهاية إلى بلورة المفهوم الاجتماعي العقلاني في أوروبا في القرن العشرين.

وفي الحقيقة إن سبب تهافت علماء الاجتماع وعلماء السياسة على مفهوم العقلانية هو لأنه وسيلة موضوعية للحكم على مجتمع معين بالمقارنة مع المجتمع الغربي الذي استوعب القوانين العقلية البسيطة التي بني عليها الحساب والهندسة، وإذا اصطلحنا أن المجتمع الغربي بأنه المجتمع الحديث يمكن أن يتوفر لدينا معايير موضوعية نقدر بها حداثة أي مجتمع.

\*معايير ودلالات ظهور البيروقراطية في مجتمع ما:

\_أنه يرمز إلى موضوعية الدولة وفصلها عن ذات السلطان.

\_أنه يرمز إلى موضوعية القانون الذي يفصل عن ذات القاضي أو الولي.

\_أنه يرمز إلى موضوعية المسطرة القضائية التي تفصل عن ذات المتقاضي.

\_أنه يرمز إلى إمكانية التنبؤ في سلوك السلطان أو الولي أو القاضي وكل أصحاب السلطة والنفوذ.

\*البيروقراطية في العالم العربي:

بعد دراسة البيروقراطية في حالتي لبنان ومصر تبين الآتي:

\_إن البيروقراطية القائمة لا تجسد العقلانية بقدر ما تحافظ على العلاقات الموروثة.

\_ما زال الناس ينظرون إلى الموظف العمومي على أنه هبة وليس خدمة.

\_ما زالت العلاقات بين الموظفين علاقات إحسان وولاء.

\_ما زال تحديد حجم الوظيف هو الحاجة الاجتماعية التي يفرضها نمو الضغط السكاني في مصر، أو مع ضرورة المحافظة على التوازن الطائفي في لبنان دون النظر إلى المردود المتوقع والمنتظر من هذا التوظيف.

\_كما لم يتوحد سلوك الموظفين بشكل يسمح لنا بالتنبؤ، بل الأمر مرتبط بذات الموظف وشخصية من يحاوره بشأن الخدمة.

حيث نستخلص أنه لا حداثة في هذين البلدين وبالتالي لا علاقة في بيروقراطية البلدين، تجدر الإشارة أن هتين الدراستين هما صحيحتان وتم الأخذ بهذين النموذجين باعتبارهما الدول العربية الأولى التي بدأت بتطبيق البيروقراطية فيهما.

\*علاقة مفهوم السياسة العقلانية بالحرية والدولة وطرق حلوله في المجتمع:

إن الدولة الحديثة لا تنشئ وتتقوى إلا بإقامة بيروقراطية عصرية تجسد العقلانية الاجتماعية ولا ينضج الفكر السياسي في مجتمع ما إلا بتمثيل مفاهيم الحرية والدولة والعقلانية في آن واحد، حيث إن تحقيق هذه المفاهيم معا صعب ولكن ليس محال، حيث إن وضع هذه المفاهيم باستمرار في الواقع اليومي يعين على تغيير ممارسة السلطة وتغيير كيان الدولة حتى وإن كان على المدى البعيد.

\*اجتماعيات الدول العربية والمفارقة العجيبة:

إن الدولة العربية متأرجحة بين نمطين، نمط السلطانية المملوكية ونمط التنظيمية العقلية، بسبب الفجوة بين السياسة والمجتمع المدني وكذلك بين السلطة والنفوذ المادي والأدبي وبين الدولة والفرد، حيث يرجع ذلك إلى الموروث عن الدولة السلطانية القديمة والإدارة الاستعمارية الأجنبية.

إن السعادة أو الطوبى كانت بالنسبة للفرد العربي هي:

\_الخلافة في العهدين الأموي والعباسي.

\_وكانت أيضا هي الإمامة الشرعية في العهود التالية.

\_والطوباوية المهيمنة اليوم هي الدولة العربية الكبرى.

وبالتالي نجد أنه بوجود هذه الطوباوية اليوم (الدولة العربية الكبرى) تنزع الشرعية عن الدول الإقليمية، حيث إن كل إنجازات الدولة من تشغيل وتجهيز وتنمية وتعليم لا يكسبها ولاء ولا إجماعا حولها، لأن الفرد العربي ينظر لها على أنها مرحلة مؤقتة في طريق إنشاء الدولة العربية الكبرى.

إن نظرة الفرد العربي اليوم إلى السلطة (وهي نظرة ورثها عن الماضي) لم تفلح في تركيز الكيان القائم وتحويله إلى مجتمع سياسي بالمعنى الدقيق، وأيضا لم تفتح الطريق لإنشاء الدولة العربية الواحدة، وكذلك فإن هذه النظرة تضعف هذا الكيان دون ضمان لحرية الفرد.

ووجود نظرية للدولة الآن تقوي الكيان القائم مؤقتا عن طريق إعطائه الشرعية الضرورية ومن المحتمل أن تهدينا النظرية إلى طرق واقعية لتحقيق الوحدة ومزاوجة الدولة بالحرية والعقلانية.